شرح نواقض الإسلام

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٦/١٧ هـ

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمّا بعد:

قال الإمام الأوّاب شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشّارح والسّامعين في رسالته «نواقض الإسلام»:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ: الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢] ، وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ

****

هذه رسالة قيّمة ونافعة ومفيدة جدًّا ويحتاج إليها كلُّ مسلم، ألّفها شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى في بيان نواقض الإسلام؛ أي: بيان الأمور الّتي ينتقض بها الإسلام وتنحلّ بها عُراه، وينتقل بها فاعلُها من ملّة الإسلام، ويخرج من حظيرة الدّين، ويكون بها كافرًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ربّ العالمين، مستحقًّا عذابه الشّديد ونكاله الأليم، وخلوده في نار جهنّم يوم القيامة، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن الكفّار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[فاطر:٣٦].

ونواقض الإسلام: «النّواقض» جمع ناقض؛ وهو حَلُّ وإفساد ما قام من بناءٍ أو انعقد من حبلٍ أو نحو ذلك، يقال: "نقَض البناء" أي أفسده وهدمه، ويقال: "نقَض الحبل" أي حلّه وفكّ فَتْله ، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾[النّحل:٩٢] ؛ فنَقْضُ الغزل إفساده، ونَقْضُ البناء إفساده، ونَقْضُ الدّين إفساده. فـ«نواقض الإسلام» أي: الأمور الّتي تفسد الدّين وتبطل الدّين، مثل ما تسمّى الأمور الّتي تفسد الوضوء وتفسد الطّهارة «نواقض» كما هو مبيَّن في كتب الأحكام؛ «نواقض الوضوء» أي: الأمور الّتي ينتقض بها الوضوء أي: يَفْسد، وهي معروفة .

فـ«نواقض الإسلام» أي الأمور الّتي يفسد بها الإسلام، وإذا وُجِدت في الإنسان لم ينتفع بعمل، ولم يستفد من طاعة، لأنّها تُحبط الأعمال وتُبطلها وتفسدها، ولهذا كما أنّ الصّلاة بغير طهارة لا تصحّ لأنّ انتقاض الوضوء أو

عدم وجوده لا تصحّ الصّلاة بذلك، فكذلك وجود نواقض الإسلام لا يصحّ الإسلام بوجودها، بل لا يصحّ إلّا بانتفائها لأنّها ناقضة له أي مفسدة ومبطلة له، فإذا وُجِدت نواقض الإسلام أو شيء منها لم يستفد الإنسان من صلاة ولم يستفد من صيام ولم يستفد من حجّ ولم يستفد من أيّ عمل لأنّها تنقض الدّين. والسّلف رحمهم الله تعالى قديما سمّوا نواقض الإسلام ونواقض الدّين بهذا الاسم، كما جاء عن عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّه قال: «تُنْقَض عرى الإسلام عروةً عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهليّة»، وكما جاء عن ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أنّه قال: «الإيمان بالقدر نظام التّوحيد؛ فمن وحّد الله وكذّب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه» ، فسمّى الأمور الّتي تنقل من الملّة نواقضًا قال: «نقض تكذيبُه توحيدَه» ، والتّكذيب بالقدر ناقل من الملّة فسمّاه ناقضا للتّوحيد أي مفسدًا له ومبطلًا له.

وإذا فسد التّوحيد بالنّواقض وبطل لم يُقبَل من العبد عمل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[المائدة:٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الزمر:٦٥ - ٦٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾[التوبة: ٥٤] ، فالكفر الّذي هو النّاقض للدّين مانع من قبول الأعمال ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ﴾ النّفقات عملٌ صالح، لكن وجود الكفر بالله وبرسوله ناقض للدّين فيفسُد العمل ويبطل . وكما أنّ صلاة المصلّي بدون طهارة لا تُقبَل فأعماله الصّالحة بدون التّوحيد لا تُقبَل، كما أنّ الطّهارة أساسٌ لقبول الصّلاة فكذلك التّوحيد أساسٌ لقبول الأعمال، فإذا انتقض توحيدُ المرء بطلت أعماله وفسدت، ولأجل هذا سمّى أهل العلم الأمور الّتي تُخْرِج المرءَ من الملّة وتنقله من الدّين «نواقض» ؛ لأنّ الدّين ينتقض بها ويفسد.

ومعرفة نواقض الإسلام أمر مهمّ للغاية، يحتاج المسلم حاجة ماسّة لأنْ يكون على معرفة بنواقض الإسلام ؛ لأنّ المسلم كما أنّه مطالب بمعرفة الحقّ ليفعله وليكون من أهله، فهو كذلك مطالبٌ بمعرفة الباطل والشّرّ ليتّقيه وليحذر أن يكون من أهله، فإنّ في معرفة الشّرِّ تحذيرًا منه وتحذيرًا من باطله، ولهذا قال القائل قديما:

عرفتُ الشّرّ لا للشّرّ ولكن لتوقّيه فإن من لم يعرف الشّرّ من النّاس يقع فيه

الّذي لا يعرف الشّرّ يقع في الشّرّ، ودعاة الباطل يدخلون عليه ويزيّنون له الشّرّ ويزيّنون له الباطل، لكنّه إذا عرف الشّرّ وخطره وضرره، وعرف الأدلّة الّتي تدلّ على خطورته، وعرف عواقبه، أصبحت هذه المعرفة بإذن الله سدًّا منيعًا من دخول الباطل عليه، أمّا إذا كان لا معرفة له بالشّرّ ولا معرفة له بخطورته فإنّ هذا مدعاة لدخول الباطل عليه، وقد قيل قديما: "كيف يتّقي من لا يدري ما يتّقي" أي: كيف يتّقي الشّرّ، كيف يتّقي الخطر، كيف يتّقي الضّرّ من لا يعرفه!! أساسُ الاتّقاء معرفة ما يُتّقى، إذا كان الإنسان لا يعرف ما الّذي يتّقيه، إذا قيل له: ما

الشّرك ؟ قال: ما أدري، وإذا قيل: ما الرّبا ؟ قال: ما أدري، وإذا قيل: ما النّفاق ؟ قال: ما أدري، إذًا كيف يتّقيها ؟!!كيف يتحاشى من الوقوع فيها ؟!! ولاسيّما أنّ هناك أئمّة ضلال ودعاة باطل يزيّنون للنّاس الباطل ويلْبِسون الحقّ ويكتمونه وقد قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ)) أي: أئمّة الضّلال ودعاة الباطل الّذين يزيّنون للنّاس البدع والضّلالات والشّركيّات والكفريّات، ويُخفون عنهم الحقّ والهدى والنّور المبين الثّابت عن الرّسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

قد جاء عن الصّحابيّ الجليل حذيفة بن اليمان كما في صحيح البخاريّ قال: «كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشّرّ مخافته» أي أسأله عن الشّرّ، أَعْرِفُ الشّرّ خوفًا من الشّرّ، فإذا عرف الإنسان الشّرّ وعرف خطورته وعرف عواقبه في دنياه وأخراه كانت هذه المعرفة بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حائلًا بينه وبين الوقوع في الشّرّ، وكانت هذه المعرفة أيضا معينةً له على تحذير غيره من الشّرّ، وأن يكون جامعًا في نصحه للعباد بين الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، ومن لا يعرف المنكر كيف ينتهي عنه؟! وكيف أيضا ينهى غيره عنه؟! وكيف يحذّر غيره منه؟!

وأعظم ذنب عُصِيَ الله به وأعظم المحرّمات الشّرك بالله، وكيف ينهى الإنسان عن الشّرك وهو لا يدري ما هو؟! وكيف يحذّر ولده من الشّرك وهو لا يدري ما هو ؟! وفي وصيّة لقمان الحكيم لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣] ، فإذا عمل عامل بهذه الوصيّة وقال لابنه: يا بنيّ لا تُشرك بالله، وقال له ابنه: ما الشِّرك؟ وما هي خطورة الشّرك؟ وما هي مضرّة الشّرك؟ وكيف يكون اتّقاء الشّرك؟ وهو لا يعرف جوابًا على ذلك، كيف تستقيم منه النّصيحة وكيف يستقيم منه البيان ؟!

ولهذا فإنّ معرفة هذه الأمور عظيمة الأهمّيّة، والحاجة إليها ماسّة، وفي زماننا هذا يتأكّد هذا الأمر بشكل أكبر؛ لأنّ وسائل المعرفة ووسائل الاتّصال اتّسعت وكثرت في زماننا، وأصبح لدعاة الباطل منافذ كثيرة على عقول النّاس ومداخل عديدة، فأثاروا الشّبهات وزيّنوا الباطل وحَرَفُوا النّاس عن دين الله وعن الحقّ والهدى المستمَّد من كتاب الله وسنّة رسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ولهذا أقول مؤكّدًا: ينبغي علينا دراسة مثل هذه الرّسالة النّافعة «نواقض الإسلام» بأناة ودقّة وحُسْن فهْم بنيّة اتّقاء هذه النّواقض واجتنابها والبُعد عنها، وتحذير النّاس منها ومن الوُقوع فيها.

وكما أنّه مطلوبٌ من المسلم معرفة نواقض الإسلام الّتي تُفسد الدّين من أساسه ليتّقيها، فإنّه كذلك مطلوبٌ منه أن يعرف كبائر الإثم وعظائم الذّنوب، سواء منها ما كان ناقضًا للإسلام أو مُنقصًا لكماله الواجب ؛ لأنّ الإسلام له نواقض ، وله نواقص ، «النّواقض» تفسده من أساسه وتقدح في أصله، و«النّواقص» تقدح في كمال الإيمان الواجب وتُنقص دين الشّخص وتضعف إيمانه ، وكُلٌّ من «النّواقض» و«النّواقص» مطلوب معرفتها

لاتّقائها، وأنصح في هٰذا المقام بقراءة كتاب «الكبائر» للإمام الذّهبيّ رحمه الله تعالى ، وكتاب «الكبائر» لشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى ؛ فهٰذان الكتابان في غاية النّفع في هذا الباب؛ التّحذير من نواقض الدّين ومن نواقصه، التّحذير من مبطلات هذا الدّين ، والتّحذير من الأمور الّتي تنقص كمال هذا الدّين الواجب ، فيكون العبد بهٰذه المعرفة سلك سبيلًا واتّخذ وسيلةً تنفعه غاية النّفع باتّقاء هذه الأمور واجتناب هذه العظائم والكبائر.

وقد تنوّعت بيانات النّبيّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وطرائق توجيهه في تحذير الأمّة من هٰذه العظائم، وإيضاحه لخطرها الجسيم ومغبّتها الأليمة على أهلها وأربابها ؛ كقوله في حديث ابن مسعود: ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُرَدِّدها عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ)) أشفقوا عليه صلوات الله وسلامه عليه ؛ هٰذا من تمام نصحه وبيانه لأمّته . وفي حجّة الوداع خطب النّاس وقال في خطبته صلّى الله عليه وسلّم: ((أَلَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ)) يعني موبقات مهلكات يجب اتّقاؤها واجتنابها ((أَلَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ: لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا)) ؛ حذّر عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في جموع الحجيج من هٰذه الكبائر ونهى عنها، أمامه الجموع فيحذّرهم من الكبائر: لا تشركوا، لا تزنوا، لا تسرقوا، لا تقتلوا «أَلَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ» أي أكبر الكبائر، والله يقول: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام:١٥١] بدأ بالإشراك في بيان المحرّمات؛ مِمّا يدلّ على أنّ الشّرك بالله عزّ وجلّ أعظم المحرّمات وأكبر الموبقات، وأظلم الظّلم، وأشدّ الجرائم وأفظعها.

فالشّاهد أنّ معرفة نواقض الإسلام -أي الأمور الّتي تبطل الدّين- وكذلك معرفة النّواقص أمرٌ مطلوب من كلّ مسلم، لا يكفي أن تعرف الحقّ، بل لا بدّ من معرفة الشّرّ لاتّقائه، وعندما نقول لا بدّ من معرفة الشّرّ نعني بذلك معرفة الشّرّ في ضوء الآيات والأحاديث، لا أن يذهب الإنسان إلى كتب أهل الباطل وكتب أهل الشّرّ فيقرأ فيها ليعرف الشّرّ، هذا من وسائل الانحراف ووسائل الضّلال، لا تُقرَأ كتب أهل الباطل ولا تُقرَأ كتب دعاة الضّلال، بل يُحْذَر منها أشدّ الحذر، مثلما يحذر الإنسان من الآفات العظيمة والأمور الْمُعْطِبة يُحذَر من كتب أهل الباطل، وإنّما المراد بمعرفة الشّرّ: أي معرفته في ضوء الآيات ، في ضوء الأحاديث، في ضوء كلام أئمّة السّلف رحمهم الله وأهل العلم، ولهذا أَحَلْتُ في هذا الباب إلى قراءة كتاب «الكبائر» للذّهبيّ، الكبائر كلّها شرّ على الإنسان، ولكن نقرأ كتاب الكبائر لماذا ؟ بأيّ نيّة ؟ نقرأ كتاب «الكبائر» بنيّة أن نتّقي هٰذه الأمور وأن نعرف خطرها وأن نعرف ضررها وأن نعرف عقوباتها، لنحذرها ولنتّقيها، ولئلّا نكون من أهلها .

وأسأل الله عزّ وجلّ أن يعيذنا جميعًا من نواقض الدّين ونواقصه، وأن يحفظ علينا ديننا وإيماننا، وأن يحفظنا بالإسلام قائمين، وأن يحفظنا به قاعدين، وأن يحفظنا به راقدين، وأن يُعيذنا من الضّلال والزّيغ، وأن يثبّتنا على دينه القويم، وقد كان نبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يقول ثلاث مرّات إذا أصبح وثلاث مرّات إذا أمسى: «اللَّهُمَّ إِنِّي

أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَمِنَ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»؛ يستعيذ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من الكفر، فالمسلم يتعوّذ بالله من الكفر، يتعوّذ بالله من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، ويعرف هذا الّذي يتعوّذ بالله منه ليجمع بين الاستعانة بالله عزّ وجلّ وبذل الأسباب الّتي هي اتّقاء تلك الأباطيل واجتناب تلك الأضاليل الّتي تحرف العبدَ عن سواء السّبيل، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[آل عمران: ٨] اللّهمّ يا مقلّب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك.

قال رحمه الله تعالى : «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»؛ بدأ بالبسملة تأسّيا بكتاب الله واقتداءً بالرّسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه . والبسملة كلمة استعانة أي: أبدأ كتابتي هذه مستعينًا بالله، متبرّكًا ومتيمّنًا بذكر اسمه جلّ وعلا طالبًا مدّه وعونه وتوفيقه، وأن يبارك فيما كتبت وأن ينفع به.

قال: «**اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ**»، قوله رحمه الله «اعْلَمْ» هذه كلمة يُراد بها شدّ الانتباه، وتحفيز السَّامع إلى حُسن الاستماع وحسن الإصغاء؛ «اعْلَمْ» والعلم المدعو إليه هنا : هو اليقين الجازم ؛ أي: كن على يقين، وكن على جزمٍ، وكن على دراية تامّة ومعرفة، «اعْلَمْ» أي: تيقَّنْ يقينًا جازما لا شكّ فيه.

ويؤتى بهذه الكَلمة عند ذكر الأمور المهمّة العظيمة الّتي يُقصَد الدّعوة إليها ، أو الأمور الخطيرة الّتي يُقصد التّحذير منها، وهذا الأسلوب جاء في القرآن الكريم في مواضع عديدة، يؤتى بـ«اعلم» بين يدي الأمور العظيمة المهمّة، وكذلك جاء في السّنّة في مواضع عديدة؛ من ذلكم قول الله سبحانه : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد:١٩] ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة:٢٦٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرة تقرب من الثّلاثين آية، ومن ذلكم في السّنّة قول النّبيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: ((وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)) ، ولهذا درج عددٌ من أهل العلم في مصنّفاتهم وفي خطبهم ومواعظهم عند ذكر الأمور العظيمة المهمّة الّتي يُطْلَب من المستمع والمتلقّي أن يتنبّه لها وأن يُرْعِيَهَا اهتمامه وعنايته، يُؤتى بهذه الكلمة، فإذا خاطبت المخاطَب ابتداءً قلت: "اعلم يا فلان" انتبَهَ لك وحضر ذهنه واستعدّ للاستماع والاستفادة.

قال: «**اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ**» النّواقض عرفنا أنّها جمع ناقض والمراد بها: الأمور الّتي تُفسد الدّين وتبطله وتنقل المرْء من حظيرة الدّين، ويكون بها من الكفّار المشركين أهل النّار الّذين لا يقبل الله منهم صَرْفًا ولا عدلًا.

وقوله «**الْإِسْلَامِ**» عرّفه رحمه الله في بعض مصنّفاته بقوله: هو الاستسلام لله بالتّوحيد والانقياد له بالطّاعة والخلوص –أو البراءة– من الشّرك. الإسلام : استسلامٌ لله وانقيادٌ وطواعيّةٌ وامتثال لأوامر الله ، والمسلم : هو المستسلم المنقاد المذْعِن لشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى؛ بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وزجر .

قال: «**اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ**» وقوله رحمه الله «عَشَرَةُ نَوَاقِضَ» ليس المراد هنا حصر النّواقض بهذا العدد، ولكنّ المراد بيان أهمّ وأعظم وأخطر نواقض الإسلام وأشدّها ضررًا ، وبيان النّواقض الّتي ترجع إليها بقيّة نواقض الإسلام الأخرى، ولهذا فإنّ هذه النّواقض العشرة الّتي ذكرها رحمه الله تعالى هي أخطر النّواقض وأشدّها ضررًا، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية: بقيّة نواقض الإسلام في الغالب ترجع إلى هذه العشرة ؛ فكان من نصحه رحمه الله وحُسن توجيهه وبيانه أنْ جمع هذه العشرة النّواقض في هذه الرّسالة المختصرة النّافعة المفيدة غاية الفائدة. ويأتي مثل هذا الأسلوب ولا يراد به الحصر ؛ قوله عليه الصّلاة والسّلام : «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» وذكرها عليه الصّلاة والسّلام ، هل الموبقات هي هذه السّبع فقط؟ أو أنّ هناك أيضا موبقات أخرى غيرهنّ ؟ لكنّ جَمْعَهُ لهذه السّبع تأكيد على خطورتهنّ ، أيضا قوله في الحديث المتقدّم: «أَلَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ: لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا» ؛ هذا بيان لأخطر الموبقات وليس المراد حصر الموبقات في هذه الأربع.

الشّاهد أنّ نواقض الإسلام تزيد على هذا العدد ، لكنّ ما ذكره رحمه الله تَعَالى هو أخطر هذه النّواقض وأشدّها ضررًا ، وبقيّة النّواقض ترجع في الجملة إلى هذه العشرة الّتي ذكرها رحمه الله تَعَالى .

قال: «**الْأَوَّلُ**» من هذه النّواقض «**الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ**» وذكر الأدلّة على تحريم الشّرك، وأنّه أعظم الموبقات وأخطر الذّنوب، وأنّه أعظم ذنب عُصِيَ الله عزّ وجلّ به .

قال: «**الشِّرْكُ باللهِ**» وبدأ به قبل غيره ؛ لأنّه أخطر ذنب وأكبر موبقة كما جاء عن نبيّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في ذكره للكبائر وعدّه لها يبدأ به ، كما في حديث ابن مسعود المتقدّم: ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ)) بدأ به، وكما في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ. قُلْنَا: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ..)) ثمّ ذكر بقيّة الموبقات فبدأ بالشّرك. ولهذا بدأ المصنّف هنا رحمه الله تَعَالى به.

وهذه الطّريقة أيضا موجودة في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بدأ بماذا؟ ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام:١٥١] بدأ بالإشراك، في سورة الإسراء لَمّا عدّد وذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جملة من الأوامر والنّواهي تقرب من الثّمانية عشر أمرًا ونهيًا بدأها بقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾[الإسراء:٢٢] وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[الإسراء:٣٩] ، وأيضا في الآيات الّتي فيها جملة من الأوامر تُبدَأ بالأمر بالتّوحيد وتُبْدَأ بالنّهي عن الشّرك: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[النساء:٣٦]؛ بل إنّ أوّل أمر في القرآن أمر بالتّوحيد، وأوّل نهي في القرآن نهي عن الشّرك، إذا فتحت المصحف وبدأت تقرأ أوّل أمر تراه في القرآن أمر

بالتّوحيد، وأوّل نهي في القرآن نهي عن الشّرك ؛ في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:٢١] أي: وحّدوه، قال ابن عبّاس رضي الله عنهما : «كلّ أمر بالعبادة في القرآن أمرٌ بالتّوحيد» ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١ - ٢٢] هٰذا أوّل نهي في القرآن ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أوّل شيء نُهِيَ عنه في القرآن الشّرك ﴿لاَ تَجْعَلُوا لِلّهِ أَندَاداً﴾ أي: شركاء، و لهٰذا بدأ المصنّف رحمه الله تعالى بهٰذا النّاقض؛ الشّرك بالله لأنّه أخطرها وأعظمها.

قال: «**الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ**» والشّرك في أصل معناه وأصل مدلوله: التّسوية، والشّرك بالله : تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه أو شيء من حقوقه، فمن سوّى غير الله بالله في شيء من خصائص الله أو شيء من حقوق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عباده فقد أشرك بالله العظيم، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في بيان حال الكفّار أهل النّار عندما يدخلون نار جهنّم يوم القيامة أنّهم يقولون: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشّعراء: ٩٧- ٩٨] ؛انظر ماذا يصف أهل النّار عملهم؟ ﴿ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: واضح وبيّن، ضلال بيّنٌ ضلاله، وواضحٌ في منتهى الضّلال، ما هو؟ ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: نسوّيكم بالله في خصائصه وحقوقه، يقولون ذلك على سبيل النّدم والأسف، ولكنْ لا يفيد ولا ينفع، بل إنّهم في خضمّ هذا النّدم والأسف يتوجّهون إلى الله بالنّداء والطّلب أن يعيدهم إلى الدّنيا ليعملوا الصّالحات وليحقّقوا التّوحيد وليبتعدوا عن الشّرك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ ماذا يريدون ؟ ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ غير الشّرك الّذي كنّا نعمله ، عرفوا أنّ الشّرك هو الضّلال المبين، وأنّ العمل الصّالح لا يكون إلّا بتوحيد ربّ العالمين، ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ وماذا يكون الجواب ؟ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ أي: ألم نُعطكم مهلة زمنيّة وعُمُرًا في الحياة الدّنيا ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[فاطر:٣٦-٣٧] والمراد بـ«الظّالمين»: أي المشركين الكافرين ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ فيُخلَّدون فيها أبد الآباد ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ العذاب لا يُخَفَّف بل يزيد، كما في سورة النّبأ: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾.

فالشّرك هو تسوية غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالله، بإعطاء غير الله عزّ وجلّ شيئًا من خصائص الرّبّ أو شيئا من حقوق الرّبّ على العباد؛ خصائص الرّبّ جلّ وعلا مثل: الخلق، والرّزق، والتّصرّف، والتّدبير، والهداية والضّلال، ودخول الجنّة والنّجاة من النّار، وإحاطة علمه وشمول رحمته، وسعة منّه وفضله وعطائه، وكونه يكشف الكُرُبات ويفرّج الهموم، ويشفي السّقيم، ويجيب المضطرّين ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[النمل:٦٢] أي: قليلٌ تذكّركم وعقلكم وفهمكم، وإلّا لو عقل الإنسان وأحسن التّذكّر والفهم لَما عَدَل عن التّوحيد ولم يَمِل عنه، لكنّ الميل إلى الشّرك والكفر بسبب عطَب عقل الإنسان وفساده ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾. فمن أعطى غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيئا من هٰذه الخصائص؛ اعتقد في مخلوق حيًّا كان أو ميّتًا أو جمادًا شيئًا من هذه الخصائص كفر بالله، وكان من المشركين أهل نار جهنّم المخلّدين فيها أبد الآباد.

وكذلك من أعطى غير الله شيئًا من حقوق الله على العباد ، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)) فالعبادة حقّ لله على عباده، العبادة من صلاةٍ، وصيامٍ، وذبحٍ، ونذرٍ، وركوعٍ، وسجودٍ، وخوفٍ، ورجاءٍ، وتوكّل، واستعانة، واستغاثة، وغير ذلك العبادة حقّ لله، فمن أعطى هذا الحقّ أو شيئا منه لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإنّه يكون بذلك مشركًا بالله العظيم، منتقلًا من ملّة الإسلام، فالشّرك بالله هو تسوية غير الله بالله في شيء من حقوق الله عزّ وجلّ أو شيء من خصائصه تَبَارَكَ وَتَعَالَى الّتي تفرّد بها كما سبق إيضاح ذلك وبيانه.

قال رحمه الله تعالى: «**الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ**» أي: تسوية غير الله بالله في العبادة، في عبادة الله الّتي هي حقّ الله على العبيد، وهنا هٰذا المقام للسّلامة من هٰذا النّاقض (الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ) يحتاج العبد إلى نوعين من المعرفة لابدّ منهما:

- الأولى: معرفة الشّرك؛ بمعرفة حقيقته.
- والثّانية: معرفة العبادة؛ بمعرفة حقيقة العبادة وأفراد العبادة.

فيعرف الشّرك ليتّقيه، ويعرف العبادة ليخلصها لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البيّنة:٥]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: ٥٦]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النّساء: ٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] فيعرف العبادة ليُخلصها لله، ويعرف الشّرك ليتّقيه، فلابدّ من نوعين من المعرفة: الشّرك ليُتّقى ويُجتَنَب ، والعبادة لتُخلَص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والعبادة : اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظّاهرة والباطنة. فالعبادة كلمة جامعة من «التّعبّد» وهو التّذلّل والخضوع، يقال : طريقٌ معبَّد؛ أي مذلّل ذلّلته الأقدام ووطّأته الأقدام، ويقال: ناقة معبَّدة؛ أي مذلَّلة للرّكوب، فالعبادة: الذّلّ والخضوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والانكسار بين يديه، فهي اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظّاهرة والباطنة.

والأقوال منها أقوال ظاهرة ومنها أقوال باطنة، والأعمال أيضا منها أعمال ظاهرة وأعمال باطنة، وكلّها عبادة لله.

ومن الأقوال الباطنة: العقيدة الّتي يعتقدها المسلم في قلبه، قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[البقرة:١٣٦] أي: قولوا بقلوبكم معتقدين وبألسنتكم ناطقين ومتلفّظين، فالأقوال الباطنة الّتي تكون في قلب الإنسان ؛ قوله في نفسه بأن يعتقد ما أمره الله عزّ وجلّ باعتقاده والإيمان به، وكذلك قوله بلسانه ؛كلّ الأقوال الّتي تُقال باللّسان داخلة في العبادة، ولاسيّما أساس العبادة وهو كلمة التّوحيد «لا إله إلّا الله».

وكذلك الأعمال الظّاهرة والباطنة داخلة في العبادة؛ الأعمال الباطنة مثل: الحياء، والتّوكّل، والخشية، والإنابة، والرّجاء، وغير ذلك، والأعمال الظّاهرة مثل: الصّلاة، والحجّ، والجهاد، والصّدقة وغير ذلك، هذه كلّها داخلة في العبادة، فالعبادة اسم جامع ، ليست العبادة شيء في القلب فقط، ولا في اللّسان فقط، ولا أيضا في الجوارح فقط، بل العبادة في القلب واللّسان والجوارح ، القلب يعبد الله، واللّسان يعبد الله، والجوارح تعبد الله، كلّها تذلّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأساس هذه القلب ؛ ((أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)).

وفي لقاء الغد بإذن الله عزّ وجلّ نواصل الحديث عن هذا النّاقض الأوّل من نواقض الإسلام، ونكتفي إلى هنا بهذا القدر، والله أعلم، وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله نبيّنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.